

DOI: 10.54240/2318-013-001-011

النخبة الإشبيلية في بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال العصر الوسيط

The Seville Elite in the minimum and Middle Maghreb during the Middle Ages

اسم المؤلف المرسل: حميدي مصطفى - hamidi mustapha صص 201-219

الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه - مختبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية- جامعة البليدة

2 - الجزائر/البريد الإلكتروني: hamidimustapha92@hotmail.com

اسم المؤلف الثاني: دة. حميدي مليكة - hamidi malika

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة- جامعة البليدة 2- الجزائر.

البريد الإلكتروني: hamidi.malika16@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2022/12/30 تاريخ المراجعة: 2023/01/05.. تاريخ القبول: 2023/04/14

الملخص: تعرّضت بلاد الأندلس خلال القرن السابع الهجري إلى حملة من الهجمات الصليبية تسببت في سقوط أغلب حواضرها، في ظرف أقل من نصف قرن، كانت بداية هذا التساقط من الناحية الشرقية، فبعدما تمكنت الجيوش الصليبية من اكتساح ميورقة ثم بلنسية ودانية، وقبلهما سقطت قرطبة عاصمة ملك المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم جاء الدور على إشبيلية عروس المدن الأندلسية ومركزها الحضاري، ليظهر بعد هذا السقوط موجة من الهجرات الأندلسية صوب الأراضي المغاربية هربا من نيران الحقد الصليبي التي لم تراع عهود ذمة الأبرياء العزل المسلمين، فما كان من أهل الأندلس سوى المغادرة والرحيل، وكان من بين هؤلاء النازحين طائفة كبيرة من أهل إشبيلية، ضمت مختلف الفئات الاجتماعية من حرفيين إلى نخب علمية جعلت من بلاد المغرب الأوسط والأدنى موطنًا بديلاً لها، أسهموا في بناء معالمه الحضارية والفكرية عبر دفع عجلة العلم والعلوم مستغلين في ذلك خبراتهم الثقافية والعلمية التي أثّرت في مختلف المجالات الحياتية، وعليه في هذه الدراسة سنسلط الضوء على الأثر الحضاري لهجرة النخب الإشبيلية إلى بلاد المغرب الأوسط والأدنى.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ إشبيلية؛ المغرب الأوسط؛ المغرب الأدنى؛ النخب الإشبيلية؛ المجال التعليمي؛ المجال اللغوي؛ المجال الروحي؛ المجال السياسي.

ABSTRACT: During the seventh century AH, the country of Andalusia was subjected to a campaign of crusader attacks, which caused the fall of most of its cities; In less than half a century, The armies of the Crusaders managed to sweep Mallorca, then Valencia and Dania, and before them Granada, the capital of the Muslim king, fell in the Iberian Peninsula Then it was the turn of Seville, the bride of the Andalusian cities and its cultural center, And after this fall, a wave of Andalusian migrations appeared towards the countries of the Maghreb, escaping from the fire of Crusader hatred that that did not care about the safety of unarmed civilians; So the people of Andalusia had nothing but to leave, and among the displaced there was a large group of Seville people, which included different social groups from artisans to scholarly elites that made the countries of the Middle and minimum Maghreb an alternative home for them. Accordingly, in this study, we will highlight the civilizational impact of the migration of Seville elites in the countries of the Middle and minimum Maghreb.

Keywords: Andalus, Middle Maghreb, Seville, minimum Maghreb, The Seville elites , educational field, linguistic domain, spiritual field, political field.

المقدمة: عرفت بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري موجة من الهجرات الأندلسية الوافدة إلى ضفافها، الهاربة من بطش الممالك الصليبية، فبعد هزيمة حصن العقاب سنة 609هـ لم تقدر جيوش الدولة الموحدية (524هـ/668هـ/1130م-1269م) على التصدي للقوات القشتالية والتي تمكنت من إسقاط أغلب المدن الأندلسية وعلى رأسها قرطبة سنة 633هـ/1236م وإشبيلية سنة 646هـ/1249م.

وقد نجم عن سقوط الحواضر الأندلسية هجرة أهلها إلى البلاد المغاربية وبالأخص نحو المغرب الأدنى والمغرب الأوسط الذين كانا قد عرفا ظهور دولتين فتيتين بدتا على أنهما البديل المناسب للدولة الموحدية ألا وهما الدولة الزيانية (633هـ/962هـ/1235م-1554م) والدولة الحفصية (625-981هـ/1228-1574م)، واللّتان كانتا قد أظهرتا النوايا الحسنة من خلال استقبال الأندلسيين الفارين من لهيب الحروب ومجازر النصارى وكان من بين هؤلاء المهاجرين طائفة كبيرة من أهل إشبيلية بما فهم الأسر العلمية والعلماء النجباء الذين كان لهم دور هام في إثراء الحياة الحضارية لبلاد المغرب الأوسط والأدنى.

وفي هذا الإطار ارتأينا تسليط الضوء على نخب إشبيلية لمعرفة أسباب وعوامل اختيارها للمغربين الأوسط والأدنى وطنا بديلا لها وفيهم تمثلت مظاهرها؟ وما مدى إسهام علماء إشبيلية في الحركة الحضارية في هذه المنطقة المغربية؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكاليات سنخرج في هذه الدراسة على عوامل وأسباب هجرة النخب الإشبيلية إلى بلاد المغرب الأدنى والأقصى، ثم نتطرق إلى مظاهر وأشكال هذه الهجرة سواء على مستوى الأفراد والأسر، بعدها نبرز الدور الحضاري لعلماء إشبيلية في بلاد المغرب الأدنى والأوسط، معتمدي في ذلك على المنهج التاريخي التحليلي.

1 أسباب هجرة النخبة الإشبيلية للمغربين الأوسط والأدنى وعواملها:

1.1 العلاقات التاريخية والسياسية بين الإشبيليين وبني حفص: لقد كان للعلاقات التاريخية بين الأسرة الحفصية وأهل إشبيلية أثر واضح في تحديد خيارات هذه الجالية النازحة وذلك لأن قبل أن يؤسس ملوك بني حفص سلطنتهم في البلاد المغربية، كان قد سبق للأسرة الحفصية أن استقرت في غرب بلاد الأندلس¹ وتداولت الإمارة فيها من قبل الموحدين، وكان لها مناقب مذكورة، فقد استنقذ الشيخ أبو حفص مدينة بطليوس² من قبضة النصارى سنة 564هـ/1169م، وأظهر ابنه أبو يحيى وأبو محمد عبد الواحد ضروبا من التضحية والصبر والثبات في معركة الأرك، ليعظم شأنهم في نفوس أهل الأندلس³. ومما زاد في توثيق الصلة هو حكم أبي زكريا لإقليم إشبيلية⁴ متوليا على غرب الأندلس خلال العهد الموحي فمما لا شك منه أن الأمير الحفصي كان قد خبر أهل إشبيلية وعرف

1 - محمد رزوق-دراسات في تاريخ المغرب-مطبعة إفريقيا الشرق-دار البيضاء-1991م/1411م-ص 28.

2 بطليوس: إحدى مدن الأندلس تابع لإقليم ماردة وبينهما حوالي أربعين ميلا، وبينها وبين إشبيلية مسيرة ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل، وهي حديثة البناء إذ بناها عبد الرحمن بن مروان المشهور بالجليقي والي ماردة في زمن الأمير عبد الله بن محمد الأموي(238هـ-273هـ/886م-886م)، ينظر-عبد المنعم الحميري-الروض المعطار في أخبار الأقطار-تحقيق إحسان عباس-مكتبة لبنان-بيروت-1984م-ص 93.

3 عبد الرحمان بن خلدون -العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر-مراجعة -سهيل زكار- دار الفكر- بيروت - 1981م - ج6- ص 372.

4 إشبيلية: هي أحد أعظم المدن الأندلسية لقبت بعروس المدن الأندلسية لحسن طبيعتها الجامعة بين النهر والجبل أما موقعها فهي على ضفاف شاطئ نهر الوادي الكبير إلى الجنوب الغربي من مدينة قرطبة بينهما مسافة سبعين ميلا ، يربطهما هذا النهر وهو قادر على استيعاب السفن الكبيرة المقللة ، يصب في بحر الظلمات على مسافة ستين ميلا من شرق إشبيلية فهي بذلك بركة وبحيرة بفضل هذا النهر، و يطل عليها جبل شرف ، هو جبل ممتد يضم أشجار التين و الزيتون على مسافة أربعين ميلا يبدأ من إشبيلية وينتهي عند مدينة لبلة ، كما أنها تتميز بكثرة بساتين والجنات- ينظر- أبي عبد الله الشريف الإدريسي ، نزعة المشتاق في اختراق الأفاق- مجلد 1 - مكتبة الثقافية - القاهرة- 1422هـ/2002م - ص 541.

طبائعهم وقد خبروه بدورهم فشهدوا محاسنه معهم وحسن تسييره وتدييره للبلاد في تلك الفترة، أما في العهد الحفصي فقد وصلت بيعة أهل اشبيلية للأمير أبي زكريا سنة 641هـ/1243م معلنه الولاء المطلق له، وعليه فإن كل هذه الارتباطات التاريخية والسياسية كان لها أثر في استقطاب العلماء اشبيليين حيث كانت عاملا محفزا جاذبا¹

1.2. عناية سلاطين الدولة الزيانية بالعلم والعلماء: لقد أولى سلاطين بني زيان اهتماما كبيرا بالحياة العلمية والفكرية حيث عملوا جاهدين على جعل الحاضرة الزيانية تلمسان قلعة للعلم ومنازة تشدّ لها الركاب ويسمع بها أهل القفار، إذ عملوا على تقريب العلماء ورفع مكانتهم والاعتراف بجميلهم مهما كانت أصولهم أو أوطانهم، وهذا تجلّى منذ عهد سلطانها الأول يغمراسن (633-681هـ) الحاكم المؤسس للدولة الزيانية فقد عمد على استقطاب العلماء من مختلف الأقطار مع تشجيعهم على التدريس والتأليف وإجراء المجريات والعطايا وحضور مجالسهم واتباع نصائحهم وإرشاداتهم وتشجيع جنائزهم²، وقد صار بنوه على هذه السيرة الحسنة وزادوا عن ذلك بالتنافس على بناء المدارس والمعاهد كـ أبي حمو موسى الأول (706-718هـ) الذي اختطّ مدرسة للفقهاء ابني الإمام³ وكان يحضر مجلسهم ويعظّم من شأنهما، كذلك فعل الأمير الزياني أبو تاشفين الأول (728-737هـ) مع الفقيه المشدالي (ت775هـ)⁴، كما أنّ سلاطين بني زيان كانوا ممّن يستلذّون العلم ويحسنون الفكر ويدلون بدلوههم، حيث كانت لهم مشاركة حسنة في جملة من الفنون كحال الأمير أبي حمو موسى الثاني إذ اهتمّ بالأدب وفنّ الشعر وله مصنّف حسن في علم السياسة يعرف بـ"نظم السلوك في سياسة الملوك"، كذلك فعل السلطان أبو زيان محمد الثاني (796-805هـ)

1 ناصر الدين سعيدوني - التجربة الأندلسية بالجزائر - سجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات - القسم الثالث - الحضارة والعمارة والفنون - مكتبة الملك عبد العزيز - الرياض - 1414هـ/1993م - ص83.

2 صابر خطيف - فقهاء تلمسان وسلطة الزيانية - الجسور للنشر والتوزيع - الجزائر - 2011م - ص103.

3 ابنا الإمام: هما الفقهاء الشقيقان التلمسانيان أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الإمام من كبار فقهاء المالكية في زمنهما، بلغا مرتبة الاجتهاد، ينظر- صابرة خطيف- فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية- جسور للنشر والتوزيع- الجزائر- 2011- ص351.

4 أبو موسى المشدالي: هو عمران بن موسى بن يوسف المشدالي، الفقيه النجوي المنطقي، من كبار فقهاء المالكية، من أهل بجاية، غادرها خلال زمن الحصار، فنزل مدينة الجزائر، فأرسل أبو تاشفين عبد الرحمن الأول، سلطان تلمسان (718 - 737هـ) وقرّبه إليه وجعله على مدرسته التاشفينية يدرّس بها الحديث والفقه والنحو والمنطق والجدل والفرائض- ينظر- عادل نويهض- معجم اعلام الجزائر- مؤسسة نويهض الثقافية- لبنان- 1980، ج1- ص301.

من خلال تأليفه مصنفه المعروف بـ "الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأتقارة" وقصيدة في مدح الملك الظاهر برفوق أول أحد ملوك مصر¹، إن هذه الظروف العلمية المثالية ساهمت في استقطاب النخب الأندلسية عامة وإشبيلية خاصة لنجد توافد العديد من العلماء والفقهاء والأسر العلمية نحو بلاد المغرب الأوسط بغرض الاستقرار كبيت ابن جبل الهمداني وبيت ابن أبي عيش الخزرجي الإشبيلي وبيت بني ملاح القرطبي، وبيت بني سيد الناس الإشبيلي وبيت الأبلبي وغيرهم².

1.3 عامل الاستقرار السياسي للدولتين الحفصية والزيانية في استقطاب الإشبيليين: كان الاستقرار السياسي أحد أبرز العوامل المحفزة للهجرة إذ تمتعت بلاد المغرب الأدنى والأوسط من بعدها في تلك الفترة بحالة من الأمن والهدوء خاصة بعدما قضت الدولة الحفصية على ثورات القبائل العربية وعلى مختلف الحركات المعارضة لها³.

فقد بدا الأمير أبو زكريا حاكما مرهوب الجانب يعلق الأندلسيون والمغاربة على حد سواء آمالهم عليه، فقد توالى له المبايعات من الأندلس وعدد من مدن المغرب الأقصى، وبذلك اتسع نفوذ الحفصيين وأصبح أميرها سلطانا على جميع الغرب الإسلامي وأظهر سياسة حكيمة وحازمة في الداخل، وهنا يشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "فلما تكالب الطاغية على الدولة والتمهم ثغورها واكتسح بسائطها وأشرف إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربيين وإفريقية، وكان قصدهم إلى تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها"⁴، ومن كلام ابن خلدون نفهم أن بلاد إفريقية كانت أكثر استقطاب للعلماء، عكس حالة بلاد المغرب الأقصى التي كانت تعصف بها الفتن ولعل أبرز مثال على ذلك ما حل بأسرة أبي الغنم وهم نفر من جالية شاطبة حاولوا الاستقرار أولا بطنجة⁵ إلا أنهم

1 مبارك الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 - ج 2 - ص 460.

2 البيوتات الأندلسية: هي الأسر العلمية من البلاد الأندلسية نبغ أفرادها في مختلف العلوم والفنون منها أسرة الهمداني والخزرجي وبني ملاح وبني ابن سيد الناس والأبلبي والأسرة الخلدونية وغيرهم، هاجرت هذه الأسر أوطانها بسبب الأوضاع السياسية المتأزمة واستقرت في المنطقة المغربية - ينظر: زين العابدين رستم - بيوتات العلم والحديث - دار ابن حزم - بيروت - ص 98-104.

3 ابن الأبار - التكملة لكتاب الصلة - ج 1 - تحقيق عبد السلام الهراش - دار الفكر لطباعة - لبنان - 1995 - ص 130.

4 عبد الرحمان بن خلدون - المصدر السابق - ج 6 - ص 438.

5 طنجة: هي أحد أقدم مدن المغرب الأقصى تقع على ساحل بحر الزقاق بينها وبين سبتة ثلاثون ميلا في البر وفي البحر نصف مجرى، ولطنجة نهر كبير تدخله السفن يصب في البحر - ينظر - الحميري - الروض المعطار - ص 385.

غادروها مجبرين بعدما طالهم نيران فوضى بني مرين ففروا إلى تونس، وعليه فإن لاستقرار السياسي كان عامل جذب واستقطاب للأشبليين بصفة عامة ولنخب العلمية بشكل خاص¹.

كذلك هو الحال مع الدولة الزيانية التي استطاعت إثبات جديتها في بناء دولة منافسة رائدة، فعمدت منذ نشأتها على توطيد الأمن والاستقرار في أقطار دولتها، وإن كان مسار الهجرة الأندلسية وجهته الأولى بلاد المغرب الأدنى فإن بلاد المغرب الأوسط كانت الوجهة الثانية، لذلك زحرت حواضرها كيجاية وتلمسان ووهران بالعديد من النخب الأندلسية التي كانت ركيزة أساسية في هذا النسيج المجتمعي لبلاد المغرب الأوسط².

2. مظاهر هجرة النخب الإشبيلية للمغرب الأدنى وأشكالها: كانت موجة الهجرة الإشبيلية الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط والأدنى بصفة عامة كثيفة وكثيرة إذ ضمت مختلف الفئات والطبقات من العوام والأسياد والعلماء، وما يهم الباحث في هذا الموضوع هم فئة العلماء التي تجسدت في مظهرين: الأسر العلمية والأفراد.

2.1 الأسر العلمية (البيوتات) وإسهاماتهم: هي تلك الأسر الإشبيلية التي اتخذت الهجرة سبيلا بجميع أفرادها، أو التي هاجر مؤسسها الأول من البلد الأصلي أي إشبيلية صوب المغرب الأدنى، تعرف باسم "البيوتات".

البيوتات: هو مصطلح ورد ذكره في القاموس المحيط، يقصد به الشرف والشريف³، وقولنا فلان من أهل البيوتات أي من بيت كريم⁴، كما يرى ابن خلدون أن معنى البيت هو "أن يعد الرجل في آبائه أشرفا مذكورين، تكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته، لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم"⁵.

1 زروق محمد - دراسات في تاريخ المغرب - المرجع السابق - ص 31.

2 بوباية عبد القادر- إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13 م)- مجلة عصور الجديدة-

مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران- العدد 2- 2011-2012م- ص 160.

3 الفيروزآبادي- القاموس المحيط- القاموس المحيط- تحقيق محمد نعيم العرقوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1426هـ/2005م- ص 147.

4 محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ/1998م، ص 86.

5 ابن خلدون - المصدر السابق - ج 1 - ص 167.

ولعل من أبرز الأسر العلمية الإشبيلية هما بيت الخلدوني وبيت بني سيد الناس وفي هذه الدراسة سندسلط الضوء على كلاهما مع إبراز دورهما العلمي في المنطقة المغاربية.

2.2 بيت ابن سيد الناس: يعود أصول هذا البيت إلى يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب بن وهب إلى أن ينتهي عند معد بن عدنان، وهم من منبج أحد بلدات الشام، ثم ارتحلوا إلى بلاد الأندلس خلال عصر الفتوحات الإسلامية بتلك المنطقة، ليستقروا بعدها بإقليم جيان على ناحية أبدة، ثم استوطنوا إشبيلية، وبعد سقوط هذه الأخيرة هاجروا إلى بلاد المغرب الأوسط صوب بجاية ثم تونس بعدها انتقل هذا البيت إلى بلاد مصر¹.

ومن أعلام هذا البيت الإشبيلي نذكر:

- أبو بكر ابن سيد الناس: هو الفقيه الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الله، عالم المغرب، ولد سنة 557هـ/1162م بإشبيلية، أخذ العلم على جملة من علماء أهل بلده، وذلك من خلال ملازمتهم إذ كان من أبرز شيوخه في علم القراءات أبو حسن الذباج والشلوبين، كما أخذ النحو واللغة عن ابن خروف النحوي² وابن جبير، وله إجازة من بلاد الشام والعراق ومن الفقهاء الذين أجازوا له من بلاد المشرق أبو عثمان وأبو قاسم الحرساني وغيرهم.

كان فقيها حافظا للحديث راويا له، إمام في علم القراءات، عالما متمكنا في علم التاريخ هاجر من إشبيلية إلى بلاد المغرب الأوسط وتحديدا إلى بجاية، ليعظم أمره ويشتهر حاله، فاستدعاه الأمير الحفصي المستنصر إلى تونس وجعله من المقربين، وجدير بالذكر أنه كان على المذهب الظاهري، وله مصنف "كتاب بيع أمهات الأولاد وقد برع في الكتابة ونظم الشعر فمن أعماله الشعرية قافية الغين في قصد الحج إذ يقول فيها:

أَيَا سَائِرًا نَحْوَ الْحَجَّازِ وَقَصْدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بَلَاغُ
وَمِنْهُ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يَكُونُ لَهُ بِالرُّوضَتَيْنِ مَرَاغُ

1 عمارة سيدي محمد - هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7 هـ/13 م) ودورهم الثقافي- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ وحضارة الإسلامية- جامعة وهران- قسم الحضارة الإسلامية- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- وهران-2001/2002م- ص 76.

2 ابن خروف: هو العالم النحوي علي بن محمد بن خروف الحضرمي الإشبيلي، فقيه في علم الكلام والأصول، وأحد أبرز أئمة اللغة العربية، تولى تدريسها في كل من إشبيلية وقرطبة وسبته وفاس، له مصنف في شرح كتاب سيبويه، توفي ببلده سنة 609هـ/1212م، ينظر- الرعيي- برنامج شيوخ الرعيي- وزارة الثقافة -سوريا-1962م- ص81.

وكانت وفاته بحاضرة تونس يوم الثلاثاء 23 جمادى الثاني من سنة 659هـ/24ماي 1261م¹.

- فتح الدين بن سيد الناس: هو العلامة الحافظ المفيد محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن سيد الناس، ولد بمصر، تتلمذ على يد والده ونفر من العلماء نذكر منهم ابن دقيق العيد وابن مجاور في علم الحديث واللغة والنحو.

كان فقيه فتح الدين إماما في الآداب والبلاغة، أحسن النظم والنثر والتفقه في اللغة وعلم الحديث والتاريخ، تولى تدريس الحديث بمسجد صالح والخطابة بجامع الخندق في القاهرة، كما انه تزعم مشيخة الظاهرية في زمانه، رغم انه يحسب على الشافعية في بعض التراجم، له تصانيف عدة نذكر منها "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" في مجلدين، وشرح كتاب الترميذي في مصنف "النفح الشذي في شرح الترميذي" ومن تلامذته الإمام العلامة الذهبي صاحب السير والصفدي وغيرهم، توفي في شعبان من سنة 734هـ/أبريل 1334م وكانت وفاته مفاجئة، دفن بالقاهرة².

2.3- البيت الخلدوني: يعود نسب البيت الخلدوني إلى أصول يمانية حضرية، إذ ينتسبون إلى الصحابي الجليل وائل بن حجر الكندي الحضرمي اليمني، وكانت نشأة هذا البيت العلمي بعد دخول الحفيد السابع لصاحبي الجليل بلاد الأندلس، وهو خلدون بن عثمان رأس هذه الأسرة المشهورة، وفي هذا يقول ابن خلدون: "ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا إلى الأندلس، نزل بقرمونة في رهط من قومه من حضرموت، ونشأ ببيت نبيه بها، ثم انتقل إلى اشبيلية"³.

استقر البيت الخلدوني بأشبيلية قرابة أربعة قرون، عرف بالأدوار العلمية والسياسية هناك، ومع سقوط اشبيلية في يد النصارى هاجرة الأسرة الخلدونية إلى بلاد المغرب الأدنى

1 الغبري أبو العباس-عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في مئة السابعة ببجاية-التحقيق عادل نويهض - بيروت - ذخائر التراث العربي - دار أفاق الجديدة - 1979 - ص 295.

2- ابن القاضي شهبة الدمشقي- طبقات الشافعية- تعليق عبد العليم خان- مطبعة دار المعارف- الهند -1979م- ص 391.

3- ابن خلدون- المصدر السابق- ج 7 ص 505.

مرورا بسببته، وقد حظيت هذه الأسرة بمكانة مرموقة ميزتها حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة من قبل الأمراء الحفصيين¹.

ومن أعلام هذه الأسرة الإشبيلية نذكر:

- أبو مسلم ابن خلدون الإشبيلي: هو طبيب الفيلسوف عمر بن أحمد بن خلدون، من نبلاء إشبيلية حسن أخلاق، كان عالم في علوم الفلسفة متقنا لعلم الهندسة والنجوم بارعا في الطب، تعلم على يد العالم الفلكي المعروف بالمجريطي ومن أبرز تلاميذه الطبيب أبو جعفر بن عبد الله المشهور بابن صفار المتطبب، توفي بإشبيلية سنة 449 هـ².

- الحسن بن محمد ابن خلدون الإشبيلي: وهو فقيه الإشبيلي الخلدوني الذي هاجر رفقة أسرته من بلاد الأندلس إلى المغرب الأدنى، عرف بحسن علاقته مع أمير الحفصي أبي زكريا، فأكرمه واستقر في ظل دولته، وأقطعته الأراضي وأجرى له الجرايات، توفي في بونة ما بين 645 و647 هـ³.

- محمد بن أبي بكر محمد ابن خلدون الإشبيلي: هو فقيه الأديب والد صاحب المقدمة، كانت نشأته عملية خالصة إذ اعرض السياسية وتفرغ لطلب العلم تتلمذ على يد الإمام الزبيدي عالم الديار التونسية، كان بارعا في الأدب متفقا فيه، عارفا بالشعر وفنونه، توفي بالطاعون سنة 749 هـ⁴.

- عبد الرحمان ابن خلدون: هو العلامة الفقيه ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن حسن الحضرمي الإشبيلي الأصل التونسي مولد، كنيته أبو زيد، من مواليد رمضان من سنة 732 هـ بتونس، نشأ وترعرع في بيت علم وجلالة و تتلمذ على يد نخبة من العلماء عصره كشمس الدين الود ياشي، كان مجدا في طلب العلم، تنقل في بلاد المغرب والمشرق والأندلس، وتقلد المناصب عدة كالقضاء وخطة الكتابة والوساطة بين الأمراء، وصادق الأمراء والوزراء والعلماء والأدباء، كان مشهورا بالكتابة والشعر والمشاركة في مختلف الفنون والعلوم، من علم التاريخ وفلسفته، إلى علم العمران وله مصنفات

1 ابن زين العابدين- المرجع السابق- ص 89.

2 الحضري ساطع - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - دار المعارف- القاهرة - دت - ص 48.

3 عبد الرحمان بن خلدون - رحلة ابن خلدون - تعليق محمد تاويت - دار الكتب العلمية - بيروت - 2004 - ص 34.

4 ابن خلدون - العبر - المصدر السابق - ج 7 - 510.

مشهورة عند الخاص والعام ككتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر" و"لباب المحصل في أصول الدين" وكتاب "شفاء السائل لتهديب المسائل"، ومن تلامذته الإمام أبو العباس البسيلي والشيخ ابن مرزوق الحفيد¹ والعلامة البساطي، توفي في رمضان من سنة 808هـ بالقاهرة².

3. علماء إشبيلية ودورهم الحضاري في بلاد المغرب الأوسط والأدنى: لقد كان لهذه الفئة النخبوية الإشبيلية من فقهاء وأدباء ورجال سياسة وغيرهم الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الأوسط والأدنى بمفردهم أو مع أسرهم دور علمي هام في هذه المنطقة، ولكثرة العلماء الإشبيليين الوافدين إليها نكتفي بذكر أهمهم مع الإشارة إلى إسهاماتهم في الحياة العلمية.

3.1- إسهامات علماء إشبيلية في المجال التعليمي (التدريس): لقد اختلفت الطرائق والأساليب التعليمية في كل من المغرب وبلاد الأندلس، إذ كان التعليم في المغرب عامة يقوم على تحفيظ القرآن الكريم، على خلاف بلاد الأندلس التي اهتمت بتدريس العلوم اللغة العربية وقواعدها، مع استخدام مناهج غير معتادة في التدريس والجدير بالذكر أن علماء إشبيلية كانوا ضمن الطائفة المتميزة التي أبدع فقهاءها في أساليب التدريس وكان من أبرزهم: أبو بكر بن سيد الناس الذي اعتمد طريقته في تعليم الأحاديث النبوية على اقتفاء الأسانيد وضبطها مع استظهار تاريخ حاملها وذكر مناقبهم.

وفي هذا يشير الغبريني قائلا: "فكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صل الله عليه وسلم، ثم إذا أتم الإسناد رجع إلى ذكر رجاله: فيبدأ من الصحابي، فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عرفت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك، ولا يزال يتبعهم واحدا فواحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه فيقول: أما فلان شيخنا، ويذكر ما ذكر مما تقدم ويزيد على ذلك بأنه لقيه وقرأ عليه كذا وسمع منه كذا، وبعد الفراغ يذكر لغة

1 ابن مرزوق الحفيد: هو فقيه محمد بن احمد بن محمد ابن مرزوق، عالما مالكي تولى خطابة في مسجد أبي مدين بتلمسان وجامع الحمراء بغرناطة، وقضاء مالكي في القاهرة، ينظر- بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي- توشيح الديباج وحلية الانباه- تحقيق علي عمر- مكتبة الثقافة الدينية- 1425هـ / 2004م- ص 154.

2 ابن حجر العسقلاني - إنباء الغمر بآباء العمر - تحقيق حبشي - دار الكتب - القاهرة - 1994 م - ج 2- ص 340.

الحديث وعربيته، ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالي ولدقائقه ورقائقه، والمستفادة منه كل ذلك بفصاحة لسان وجودة بيان"¹.

- أبو بكر الخدب الإشبيلي: هو محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الإشبيلي، رئيس النحويين ببلاد المغرب في زمنه، صاحب المناظرات الأدبية، سكن فاس طويلا وارتحل إلى بلاد المشرق ودرس بها، وعند عودته استقر في منطقة المغرب الأوسط ببجاية تحديدا ليتولى فيها التدريس طلبه العلم وقد استفاد منه خلق كثير وله تعليق على كتاب سيبويه سماه "الطرر"، توفي بعدما أصيب بالجنون سنة 580هـ/1184م².

- ابن السراج الإشبيلي: وهو الفقيه المسن أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري³، من مواليد سنة 560هـ/1165م بإشبيلية تتلمذ على يد خاله فقيه بن خير الإشبيلي⁴ كما أخذ عن ابن بشكوال⁵، هاجر إلى العدة المغرب بعد استيلاء النصاري على إشبيلية فنزل بسبته مدة وجيزة ثم ارتحل إلى بلاد المغرب الأوسط فاستوطن بجاية، كان عالما فاضلا راويا للحديث بمسندة ثقة فيما يحدث، اشتغل بالتدريس وقد تتلمذ على يديه نخبة من العلماء منهم أبو الحسن الرندي⁶، توفي ببجاية سنة 657هـ/1259م.

- ابن عجلان الإشبيلي: هو أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي المعروف بأبي العباس الإشبيلي، من أهل إشبيلية ولد بها سنة 607هـ/1211م، تفقه على يد نخبة من علمائها⁷،

1 الغبريني - المصدر السابق - ص 191.

2 الصفدي - الوافي الوفيات - تحقيق الأناؤوط - دار الأحياء التراث العربي - بيروت - 2000م - ج 2 - ص 81.

3 شمس الدين الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج 23- تحقيق- محمد أيمن الشبراوي- دار الرسالة- القاهرة- 2006- ص 331.

4- ابن الخير الإشبيلي(ت575هـ/1179م): هو أبو بكر بن محمد بن خير بن عمر الإشبيلي، كان عالما في القراءات والأحكام الشرعية له مصنف مشهور بفرست ابن الخير الإشبيلي سرد فيه أخبار شيوخه ومؤلفاتهم-ينظر- عبد الحي ابن العماد- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ج 6- تحقيق محمود الأناؤوط- دار ابن كثير- بيروت- 1986م- ص 416.

5- ابن بشكوال(ت578/1182م): هو أبو القاسم خلف بن عبد المالك بن مسعود بن بشكوال، من أهل قرطبة كان فقيها محدثا، عالما بأخبار الرجال والتواريخ، تولى القضاء والتدريس بإشبيلية، من مؤلفاته كتابه الشهير الصلة في تاريخ رجال الأندلس-ينظر- ابن الأبار- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي- مكتبة الثقافة الدينية- مصر- 1420هـ / 2000م- ص 82.

6- أبو حسن الرندي(ت691هـ/1292م): هو عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد الأزدي، شيخ صالح اشتهر بورعه وزهده سكن بجاية، ينظر، أبو العباس الغبريني- المصدر السابق- ص 107.

7- محمد بن عمر بن رشيد الفهري السقي - ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة- ج 2- تحقيق محمد حبيب خوجة- الدار التونسية للنشر- تونس- 1402هـ/ 1982، ص 322.

كان إماما متقدما في الفقه والحديث والنحو، هاجر إلى العدو المغربية، وتنقل بين تلمسان والمغرب إلا أن انتهى به الأمر ببجاية فاستقر بها ردها من الزمن، انتقل في آخر عمره إلى منطقة المغرب الأدنى ليسكن تونس، اشتهر بورعه وزهده، وكان ذو مواقف جلييلة يذكر أنه قد عرض عليه القضاء فامتنع، كما أنه رفض أن يبدي رأيه في عقد الصلح بين النصارى وتونس عكس بقية الفقهاء، أخذ عنه الغبريني صاحب الدراية وأبو يوسف الخلاس، وقد اشتهر بطريقته الخاصة في التدريس أشار إليها الغبريني معلقا "كان إذا جلس للإقراء يحضر بين يديه الكتب المقرؤة عليه، فإذا فتح الطالب الكتاب، أخذ هو الكتاب في يده ويقرأ الطالب وتقع المعارضة، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارئ"¹.

وهذه طريقة مبتكرة في التدريس من أجل ترسيخ المعلومات في أذهان الطلبة من خلال المناقشة عبر إشراكهم في شرح الدرس والتعليق على آرائهم، توفي بتونس سنة 678هـ/1279م، ومن الإشبيليين الذين انتظموا في طائفة المدرسين أبو الحسن بن يديرة: وهو فقيه فاضل علي بن أحمد القيسي الإشبيلي خطب ودرس بمسجد بلدة رادس الواقعة بناحية تونس، وأغلب هذه العلوم التي كانت تدرس تدور حول الأحكام الشرعية من الفقه والحديث والعلوم اللغوية².

3.2 إسهامات علماء إشبيلية في علوم اللغة العربية: برع علماء إشبيلية في ميدان العلوم اللغوية من الأدب والنحو وغيرها... إذ سجل التاريخ تفوق الأدباء الإشبيليين عن نظرائهم المغاربة، ومن هنا لابد أن نشير لأهمهم:

- أبو عبد الله بن جلاب: هو الشهيد محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن إبراهيم الفهري الإشبيلي، سكن تونس، تفقه علي يد جماعة كبيرة من العلماء كأبي مطرف بن أبي عميرة³ ولازم عبد الله بن أبار وأخذ عنه، كان له اهتمام كبير برواية الحديث ومعرفة سير الرجال

1- الغبريني - المصدر السابق - ص 99.

2- ابن عبد الملك المراكشي - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - ج 3- تحقيق إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- تونس- 2012- ص 153.

3- أبو مطرف بن أبي عميرة(ت657هـ/1259م): هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي، من جزيرة شقر تفتن في العلوم وأصول الفقه وله باع في الأدب، تقلد مناصب عدة أهمها خطة الكتابة، وهو صاحب كتاب تاريخ مبروقة- ينظر- أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - تحقيق محمد الشاذلي نيفر - عبد المجيد التركي - الدار التونسية للنشر - تونس - 1968م - ص 122.

والتواريخ، مطلعاً على العلوم الأدبية مشارك فيها من النحو ونظم الشعر وإنشاء النثر، من مصنفاته : "الفوائد المتخيرة" و"إشعار الأنام بأشعار المنام"، توفي مستشهداً قرب جزيرة ميروقة سنة 664هـ/1266م¹.

- ابن عصفور الإشبيلي: هو حامل لواء العربية أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي المشهور بابن العصفور، من مواليد إشبيلية سنة 567هـ/1172م، تفقه على يد ثلة من العلماء الإشبيليين إذ أخذ العربية والأدب عن الأستاذ أبي حسن الذباج، ولزم شيخ النحاة أبا علي الشلوطين عشر سنين أخذ عنه جملة من العلوم وختم عليه كتاب سيبويه، وكان أصبر الناس على المطالعة²، ارتحل إلى بلاد المغرب الأوسط واستوطن بجاية تولى بها التدريس، وانتقل بعدها إلى حاضرة إفريقية وكان مقرباً لدى أمراء الحفصيين مشرفاً على تدريسهم، كما تتلمذ على يديه جمع كبير من الفضلاء وانتفعوا به، له تصانيف عديدة نذكر منها: كتاب "الممتع" و"المفتاح" وكتاب "الهلل" و"الأزهار" وكتاب "السالف والعدار" وشروحات عديدة "كشرح المتنبي" و"شرح الجمل" و"شرح الأشعار الستة"، وله نصيب من شعر، توفي مقتولاً بأمر من الأمير الحفصي سنة 669هـ/1271م³.

- أبو العباس ابن القصير الإشبيلي: هو الأديب أحمد بن محمد من أهل إشبيلية، لقب بابن القصير نسبة لمعلمه أبي إسحاق ابن القصير الرجل الفاضل الذي كان يعلم القرآن في إشبيلية، وقد كان أبو العباس أديباً لامعاً، خطاطاً، صادق الأدياء والنبلاء، إذ كان له دكان بتونس ينظر فيها أعلام اللغة ويجالسهم⁴، وكان ناظماً للشعر، ومن أشعاره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

مَنْ سَبَحَتْ صُومَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ وَالْبَدْرُ شَقَقَ نِصْفَهُ عَنْ نِصْفِهِ
لَيَرَى بِهِ إِعْجَازَ مَنْ لَمْ يُصِفْهُ حُزْنًا بِمُعْجَزِ ذِكْرِهِ وَوَصْفِهِ
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

1 - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، صلة الصلة، المصدر السابق، ج 3، ص 20.

2 السيوطي جلال الدين - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه - مصر - 1967 - ج 1 - ص 210.

3 الغريبي - المصدر السابق - ص 317.

4 ابن رشيد السبتي - رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر - ج 2 - دراسة وتحليل أحمد حدادي - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - مملكة المغربية - 1424 هـ/2003م - ص 304.

وفي ذم تونس أنشد قائلا:

يَقُولُونَ: تُونِسُ مِصْرُ عَظِيمٍ وَبَيْنَ الْبِلَادِ هِيَ ظَاهِرَةٌ

نَعَمْ، هِيَ مِصْرُ لَأَرْبَابِهَا وَلِلْغُرَبَاءِ هِيَ الْقَاهِرَةٌ

ومن الواضح أن البيت الشعري سابق الذكر يعكس حالة الأدباء الإشبيليين، وغربتهم في بلاد المغرب الأدنى، كان حيا سنة 684هـ/1285م¹.

- أبو جعفر اللبلي الإشبيلي: هو أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري القريشي، ولد بلبله (ما بين سنتي 610-623هـ/1213-1226م، وهي بلدة تابعة لإقليم إشبيلية، تفقه على يد علمائها، هاجر إلى بلاد المغرب الأدنى، استقر في بجاية وسمع من علمائها.

سافر إلى بلاد المشرق بغرض الحج؛ فالتقى بثلة من العلماء في كل من مصر والشام والحجاز، أخذ عنهم بعض الأسانيد المشرقية غير المتداولة في بلاد المغرب، وبعد عودته استقر بتونس، كان فقيها أدبيا نحويا، عالما في التاريخ، بلغ درجة الأستاذية، برع في علم النحو واللغة، واهتم بتدريس كتبهما، أخذ عنه الرحالة المغربي المشهور العبدري ومحمد بن جابر الوادي آشي، له تصانيف عديدة خاصة في مجال النحو والأدب، من مؤلفاته: كتاب "الإعلام بحدود قواعد الكلام"، "بغية الأمل في النطق بجميع مستقبلات الأفعال"، وكتاب "تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح"، و"فصيح ثعلب"، "التقييد في النحو"، "التسبيح الموجز"، "رفع التلبس عن معرفة التجنيس"، كتاب في التصريف، و"وشيء المحلل في شرح أبيات الجمل"، وفهرسته "الكبرى والصغرى"، وفي الأحكام الشرعية ألف كتاب "العقيد في أصول الدين"، توفي بتونس سنة 691هـ/1292م².

3.3 إسهامات نخبة إشبيلية في الحركة الصوفية: لقد لعب الإشبيليون دورا هاما في نشر الفكر الصوفي في المنطقة المغاربية، وذلك من خلال توافد عدد من شيوخ الصوفية واستقرارهم في المنطقة، لتتحول إلى مركز إشعاعي للسلوك الصوفي العلمي، الذي أصبح قبلة مميزة للمريدين وأهل الطريقة، ومن الإشبيليين الذين أسهموا في ذلك نذكر:

1 عبد الواحد بن الطواح - سبك المقال لفك العقال - تحقيق محمد جبران - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس - 2007م - ص 227.

2 إسماعيل باشا البغدادي - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - دت - ج 1 - ص 100.

- أبو مدين شعيب الإشبيلي: هو شيخ مشايخ الإسلام في عصره، القطب شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي، أصله من أحواز إشبيلية، واستوطن بجاية مدة طويلة، كان إمام العارفين والزهاد والصالحين وقدوة السالكين، صاحب كرامات كثيرة، أخذ عن أكابر علماء فاس، وتخرج على يديه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين حتى قيل إنه درس ألف تلميذ ظهرت على كل يد واحد منهم كرامة، توفي نحو 590هـ ناحية تلمسان، ومن أشعاره في الزهد يقول:

مغيث أيوب والكافي لذي النون ينيلني فرجا، بالكاف والنون

كم كربة من كربوب الدهر فرجها دوني ولم ينكشف وجهي لمن دوني¹

- أبو العيش الإشبيلي (ت 7هـ): هو محمد بن أبي زيد عبد الرحيم الخزرجي بن محمد بن أبي العيش التلمساني إشبيلي الأصل، كان فقيها حافظا متضلعا في الأدب بارعا في الكتابة، متفقه في الدين له مصنفات في التفسير وشرح أسماء الله الحسنى والعقائد الأصولية، كما تفنن في العلوم الصوفية ينافح عنها وينظم أشعارها وفي ذلك يقوم ناظما:

الله قل ودع الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكلّ دون الله إن حقّقته عدم على التفصيل والإجمال

والعارفون فنوا ولمّا يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالي

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال²

- أبو عبد الله الحلوي (ت 7هـ): هو أبو عبد الله الشوزي الإشبيلي المعروف بالحلوي لأنه كان يبيع الحلوى ويتصدق بثمرها، وقيل إن أول أمره كان قاضيا بإشبيلية ليفر من مهنته وبلده زاهدا سائحا، لابسا زي المجانين، استقر بتلمسان، يعدّ من كبار العبّاد العارفين المتصوفة، أخذ عنه تلميذه ابن الدهاق وإليه تنسب الطريقة الشوزية، من أشعاره في علم التصوف:

إذا نطق الوجود أصاح قوم بأذان إلى نطق الوجود

وذاك النطق ليس به انعجام ولكن دق عن فهم البليد

فكن فطن تناد من قريب ولا تكن من ينادى من بعيد³

3.4 إسهامات نخبة إشبيلية في الجانب العلمي والسياسي: أما بخصوص العلوم الأخرى كالطب والفلك والرياضيات: فقد عرفت إشبيلية في فترات سابقة علماء اهتموا بهذا الميدان كجابر بن أفلح

1- ابن خلدون يحيى- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات- الجزائر- عالم المعرفة للنشر والتوزيع-

2011م- ج 1 ص 165.

2- شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي- دار المعارف- القاهرة- 1995م- ج 10 ص 205.

3- يحيى ابن خلدون- المصدر السابق- ج 1 ص 165-167.

الإشبيلي¹، فلا بد أن علماء إشبيلية قد نقلوا بعض المعارف لبلاد المغربين الأدنى والأوسط في هذا المجال.

من بين هذه المحاولات تجربة أبي صلت الداني الإشبيلي (ت529هـ/1135م): هو أمية بن عبد العزيز بن أبي صلت من بلدة دانية شرق الأندلس، ارتحل إلى إشبيلية واستقر بها قرابة عشرين سنة فحسب على أهلها، اجتمع فيه علوم كثيرة من الفلسفة والطب والهندسة، كما أحسن في معرفة النجوم والوقت والأفلاك ونظم الأشعار²، ارتحل إلى بلاد مصر فكانت له محاولة علمية هندسية، كبناء مركبة تضم دواليبا وحبالا تعمل على سحب سفن غارقة إلا أن ابتكاره قدر له الفشل وسجن لذلك ليفرج عنه ويتخذ من بلاد المغرب الأدنى موطنًا له، وكان هذا على العهد الأمير يحيى بن تميم الصنهاجي (501هـ-509هـ/1107م-1112م) حيث استقبله، وأنشأ له مدرسة للعلوم الكيميائية عرفت باسم "دار العمل" فُدرلها الزوال إذ لم تعمر طويلا، من مؤلفاته: "رسالة في الموسيقى"، "كتاب في الهندسة"، "رسالة في عمل بالإسطرلاب"، كتاب "التقويم منطق الذهن"³. كما كان للمناظرات والحلقات العلمية التي تجمع بين العلماء دور في إثراء الحياة الثقافية، فقد أشار الغبريني أن كل من عبد الحق الإشبيلي وأبي عبد الله القرشي وأبي علي المسيلي، كانوا يتناظرون ويتباحثون في أمور العلم والفقه بأحد الحوانيت في بجاية، ويواظبون على ذلك حتى سقى ذلك الحانوت بمدينة العلم⁴.

أما في المجال السياسي فقد تقلد علماء إشبيلية ونهاؤها مناصب مرموقة في البلاط الحفصي والزياني إذ تولوا كل من خطة الكتابة والقضاء والحجابه، نذكر منهم:

- يحيى ابن خلدون: هو المؤرخ الأديب أبو زكريا يحيى ابن خلدون، شقيق العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، نشأ في بيت علم حاله كحال أخيه، انتقل من تونس إلى تلمسان رفقة أخيه، استقر بها وكان من أفاضل العلماء وأعيان الأدباء، قارضا للشعر وناظمه ومن أشعاره:

كذا تمر ليالي العمر راحلة عنا ونحن مع الآمال في شغل
نمسي ونصبح في لهو نسرب به جهلا وذلك يدنيننا من الأجل

1- جابر بن أفلح: هو عالم فلكي إشبيلي اهتم بالعلم التنجيم ورصد حركات النجوم والكواكب، له كتاب مهم في هذا المجال يعرف باسم "إصلاح المجسطي"، توفي في أواسط القرن الثاني عشر ميلادي- منتصف القرن السادس هجري- ينظر- مجموعة مؤلفين- موسوعة تاريخ العلوم العربية- إشراف رشدي راشد- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 1426هـ/ 2005 م- ج 1- ص 129.

2 جلال السيوطي- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- ج 1- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه- مصر- 1387هـ/ 1967م- ص 539.

3 ابن أصيبعة - عيون الأطباء في طبقات الأطباء - تحقيق نزار رضا - دار مكتبة الحياة - دت- ص 501.

4 الغبريني - المصدر السابق - ص 34.

والعمر يمضي ولا ندري فوا أسفا عليه إذ مر في الأثام والزلل

كان مقرَّباً من أمراء بني زيان الذين أكلوا إليه مهمّة رئيس الكتبة والإنشاء بتلمسان، ألف كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، توفي في تلمسان سنة 788هـ¹.

- أحمد بن إبراهيم بن عمر الغساني (ت 666هـ/1268م): فقيه أديب من أصول إشبيلية، كان مطلعاً وأديباً بارزاً، سياسياً محنكاً، قال عنه علي بن سعيد في كتابه القدر المجلد "كاتب مذكور، وشاعر مشهور، بدر الحالك، ونادرة الفلك، البحر الزاخر في الرواية، والروض الناضر في المعرفة والدراية... وهو الآن لسان الدولة العلية وكاتب سرها، والمعول عليه في نظمها ونثرها، قد اختصه الملك بالعلامة، وهي النهاية والكرامة"، وقد كلفه الأمير الحفصي يحيى بن عبد الواحد الحفصي بديوان الإنشاء وكتابة العلامة أي إنه كاتب الدولة الحفصية وحافظ أسرارها².

وممن شغلوا مناصب في البلاط الحفصي أحمد بن محمد بن سيد الناس المنتهي إلى الأسرة الإشبيلية المعروفة سألقة الذكر، إذ كان حاجباً للأمير الحفصي، كما تولى كل أحمد اللخمي وإبراهيم الأصولي الإشبيلي خطة القضاء³.

وعليه يمكن القول بأن علماء إشبيلية لعبوا دوراً هاماً في الازدهار الحضاري بمختلف مجالاته العلمية والسياسية حيث ساهموا في تنشيط الحياة العلمية، وأظهروا كفاءة سياسية في بلاد المغرب الأدنى.

خاتمة: نستنتج من خلال المعطيات الواردة في هذه الدراسة أن سقوط حاضرة إشبيلية كان سبباً جوهرياً في هجرة علماء إشبيلية نحو بلاد المغرب عامة وبلاد المغرب الأدنى والأوسط خاصة، كما كان للعلاقات التاريخية بين الأسرة الحفصية وعلماء إشبيلية دور محقّز في اختيار الأطر الفكرية لوجهتهم واتخاذ بلاد المغرب الأدنى وطناً بديلاً لهم، ناهيك عن الاستقرار السياسي للدولة الحفصية والدولة الزيانية الذي أسهم في استقطاب علماء إشبيلية إلى منطقتيهما، حيث إنّ كل من بني حفص وبني زيان نجحتا في بناء دولتين قويتين هيأتا المناخ الملائم لكافة النخب الأندلسية بما فيهم علماء إشبيلية.

- إن علماء إشبيلية كان لهم دور هام في الإسهام العلمي في بلاد المغرب الأوسط والأدنى، وكان تأثيرهم واضحاً، خاصة في علوم اللغة والنحو والعلوم الشرعية، حيث تصدروا التدريس في أعرق

1 أحمد المقرئ- أزهار الرياض في أخبار عياض- لجنة إحياء التراث الإسلامي- الرباط- 1978م- ج2- ص 246.

2 ابن سعيد أبو الحسن علي موسى- المغرب في حلى المغرب- تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- 1964م - ص 12.

3 ناصر الدين سعيدوني - المرجع السابق - ق 3 - ص 92.

المدارس والمساجد، وكانوا الوجهة المفضلة لطلبة العلم، بفضل طرائقهم ومناهجهم التدريسية غير الاعتيادية المبنية على الشرح والتحليل، حيث تتلمذ على يدهم عدد كبير من الطلبة المغاربة، ناهيك عن تأثيرهم الجلي في المجال الروحي إذ ساهمت الشخصيات الإشبيلية الصوفية في تحويل المنطقة المغرب الأوسط مركزا روحيا يحج إليه المريدون من كامل أصقاع الأرض بهدف تهذيب النفس، وتحصيل التربية السلوكية من أصحاب الطريقة الصوفية.

أما في مجال التأليف فقد كانت لهم المشاركة القوية؛ حيث تعددت مصنفاتهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية، كما أنهم أظهروا كفاءة سياسية تركوا من خلالها بصماتهم في حقل القضاء والكتابة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة -ج1- تحقيق عبد السلام الهراش -دار الفكر لطباعة- بيروت-1995.
- 2- ابن الأبار- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي- مكتبة الثقافة الدينية- مصر- 1420هـ/2000م.
- 3- ابن أصيبعة - عيون الأطباء في طبقات الأطباء - تحقيق نزار رضا - دار مكتبة الحياة - دت.
- 4- ابن القاضي شعبة الدمشقي - طبقات الشافعية - تعليق عبد العليم خان - مطبعة دار المعارف- الهند -1979م.
- 5- ابن سعيد أبو الحسن علي موسى - المغرب في حلى المغرب - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة -1964م.
- 6- ابن حجر العسقلاني - إنباء الغمر بأنباء العمر - ج2 - تحقيق حبشي - دار الكتب - القاهرة - 1994م.
- 7- ابن عبد الملك المراكشي- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- ج3 -تحقيق إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- تونس- 2012 م.
- 8- ابن رشيد السبتي- رحلة ابن رشيد السبتي ابي عبد الله محمد بن عمر- ج 2- دراسة وتحليل أحمد حدادي- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- مملكة المغربية- 1424 هـ/2003م.
- 9- أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية- تحقيق محمد الشاذلي نيفر- عبد المجيد التركي- الدار التونسية للنشر- تونس - 1968م.
- 10- أبي عبد الله الشريف الإدريسي - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق- مجلد 1 - مكتبة الثقافية - القاهرة - 1422هـ/2002م.
- 11- الفيروزآبادي- القاموس المحيط- القاموس المحيط- تحقيق محمد نعيم العرقوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1426هـ/2005م.
- 12- ابن العماد عبد الحي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ج 6- تحقيق محمود الأرناؤوط- دار ابن كثير- بيروت- 1986م.
- 13- عبد الرحمان بن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- مراجعة سهيل زكار- دار الفكر- بيروت - 1981م.
- 14- عبد الرحمان بن خلدون - رحلة ابن خلدون - تعليق محمد تاويت - دار الكتب العلمية - بيروت - 2004م.
- 15- عبد الواحد بن الطواح- سبك المقال لفك العقال- تحقيق محمد جبران- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية- طرابلس- 2007م.
- 16- ناصر الدين سعيدوني - التجربة الأندلسية بالجزائر - سجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات - القسم الثالث - الحضارة والعمارة والفنون - مكتبة الملك عبد العزيز - الرياض - 1414هـ/1993م.

- 17- صابر خطيف - فقهاء تلمسان وسلطة الزبانية - الجسور للنشر والتوزيع - الجزائر - 2011م.
- 18- مبارك الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 -- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 - ص 460.
- 19- زين العابدين رستم - بيوتات العلم والحديث - دار ابن حزم - بيروت.
- 20- زروق محمد - دراسات في تاريخ المغرب - مطبعة افريقيا الشرق - دار البيضاء - 1991 - ص 31.
- 21- بوباية عبد القادر - إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13 م) - مجلة عصور الجديدة- مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران 1- العدد 2 - 2011-2012م.
- 22- عمارة سيدي محمد- هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7 هـ / 13 م ودورهم الثقافي- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية- جامعة وهران- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- وهران- 2002/2001 م ..
- 23- الغبريني أبو العباس -عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في مئة السابعة ببجاية -التحقيق عادل نويهض - بيروت - ذخائر التراث العربي - دار أفاق الجديدة - 1979م.
- 24- الحصري ساطع - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - دار المعارف - القاهرة - دت.
- 25- الصفدي - الوافي الوفيات - ج 2 - تحقيق الأرنؤوط - دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2000م.
- 26- السيوطي جلال الدين - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - ج 1 - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه - مصر - 1967م.
- 27- إسماعيل باشا البغدادي - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين- مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - دت.
- 28- ابن خلدون يحيى- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تج. عبد الحميد حاجيات- الجزائر- عالم المعرفة- 2011م.
- 29- شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي - ج 10 - مصر - دار المعارف - 1995م.
- 30- أحمد المقرئ - أزهار الرياض في أخبار عياض - لجنة إحياء التراث الإسلامي - الرباط - 1978م.
- 31- عبد المنعم الحميري- الروض المعطار في أخبار الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- 1984م
- 32- عادل نويهض- معجم اعلام الجزائر- مؤسسة نويهض الثقافية- لبنان- 1980.
- 33- علي بن محمد بن علي الرعيبي الإشبيلي - برنامج شيوخ الرعيبي- وزارة الثقافة- سوريا- 1962م
- 34- بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي- توشيح الديباج وحبلى الانتهاج- تحقيق علي عمر- مكتبة الثقافة الدينية- 1425هـ / 2004م.
- 35 - مجموعة مؤلفين- موسوعة تاريخ العلوم العربية- إشراف رشدي راشد- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 1426هـ / 2005م
- 36- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ/ 1998م.
- 37- محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي أبو عبد الله، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجبة إلى الحرمين مكة وطيبة، تونس عند الورود، ج 2، تحقيق: محمد حبيب خوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1402هـ/ 1982.
- 38- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1387هـ/ 1967م، ص539.
- 39- شمس الدين الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج 23- تحقيق- محمد أيمن الشبراوي- دار الرسالة- القاهرة- 2006.
- 40- محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي - ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجبة إلى الحرمين مكة وطيبة- ج 2- تحقيق محمد حبيب خوجة- الدار التونسية للنشر- تونس- 1402هـ/ 1982.